ثلاث ملاحظات حول مغنيّة.

عاموس كرميل | يديعوت

19.02.2008

1. ذُكِرَ جلعاد شاليط في وسائل الإعلام، ضمن سياق عمليّة التّصفية الشّهيرة، الأسبوع المنصرم، في دمشق.

رجل القناة الأولى (الرّسمية، كما يُقال) فعَلَ ذلك، يوم الجمعة، مثلاً، عندما جلَدَ أجهزة الأمن الإسرائيليّة: «إذا كنتم خبراء وأذكياء حقاً، بحيث يمكن أن يُعزى إليكم اغتيال عماد مغنيّة، المهنيّ، ذو الحراسة المشدّدة، في وسط دمشق البعيدة، فكيف لا تستطيعون التّصرّف حيال هواةٍ في قطاع غزّة القريب، وإنقاذ شاليط؟

للوهلة الأولى، تبدو هذه الضّربة شديدة. فما بالك أن تمتلئ الأجواء بالشّائعات عن تقصيرات ظهرت في معالجة موضوع شاليط. حتّى أنّ غابي أيالون، وزير اللاّشيء في الحاضر، ورئيس المخابرات في الماضي، تمكّن من التّصريح بأنّ الحديث يدورحالياً حول «إخفاقٍ إستخباراتيّ».

كان من الممكن، أم لم يكن ممكناً عمل شيء في الستمائة يوم وأكثر التّي مرّت منذ الإختطاف - حيال محاولات التّذاكي كتلك التّي قام بها بار شلوم، هو ما يبرز الفارق الضّغير. خللٌ في قتل مغنيّة كان سينتهي بنجاة ذاك «الإرهابي الكريه»، أو، بموت المنفّذين، كائناً من كانوا. خللٌ في حملة إنقاذ شاليط من شأنه أنّ يودي بآسريه إلى تصفيته في مكانه. أنظروا، بالرّغم من كلّ الفوارق، بحالة نحشون فاكسمان القاتمة في 14 تشرين الأوّل 1994.

2. ثأر الرّبّ، بهذا التّعبير، حسب النّمط الدّينيّ، أبلغ النّائب أفراييم سنيه، الأب المثكول حاييم أبراهام بمقتل مغنيّة.وربما، بالكاد، كان هناك مجال لمثل هذا القول لو أنّ مغنيّة توفّي بالسّكتة القلبيّة أو بصعقة برق، أو بأيّ حادثٍ آخر مفاجيء لم يكن فيه أيّ دورٍ ليد البشر. ولكن بما أنّ طرده من أرض الأحياء تحقّق، حسب كلّ المؤشرات، نتيجة نيّةٍ بشريّةٍ مبيّتة، فإن زجّ الباري في هذه القصّة هو أمرٌ لا نوصي به.

وبهدف التذكير، عندما ربط الحاخام عوفاديا يوسف في درسه الدّينيّ بين تنفيذ «خطّة فانزه» النّازيّة وبين أداء يهود أوروبا للفرائض، طلب منه عددٌ من المتدينين والعلمانيين ألاّ ينجرّ إلى تدنيس إسم الرّب، وألاّ يجري حسابات الرّب تعالى اسمه. ومن البديهيّ، توجيه الطّلب نفسه أيضاً إلى رجل حزب العمل الذّي

لا يعتمر قبعةً دينيةً، إذ لا داعي لأنّ يتحدّث عن الإحتمال المعقول لقيام حزب اللّه بعمليّة ثأرٍ فتّاكة بسبب موت مغنيّة. فبحسب سنيه البائس والمتسرّع، سنضطر إلى مشاهدة عمليّة كهذه أيضاً، بأمرٍ من العرش الأعلى.

3. وإذا كنّا قد وصلنا إلى الثّأر وحساب الدّم، فليس هناك حاجةٌ للمبالغة. فبعد اغتيال الزّعيم الرّوحي لحماس أحمد ياسين، قبل أربع سنوات، بأقلّ من شهر، انطلقت تحذيرات دراماتيكيّة - على هذه الصّفحات أيضاً- عن عملياتٍ موعودة.

بل كان هناك من قال أن أناساً أبرياءً لا يعرفون أنّ قاتل ياسين قرّرأن يكون الموت مصيرهم في القريب العاجل. ولشدّة الفرح، فإنّهم لا يعرفون شيئاً عن ذلك حتّى اليوم. الثأر المتوقّع بعد الإغتيال إيّاه توقّف وتبدّد، وبات اليوم احتمالاً غير مقبول.

وبدلاً من ذلك، من المجدي عدم تجاهل التّقرير الذّي نشرته «الصاندي تايمز» اللندنيّة، أمس الأوّل، حول أنّ مغنيّة صفيّ ليس فقط بسبب ماضيه، إنّما، أيضاً، بسبب ما خطّط له للمستقبل القريب: عملية ثأر رداً على الهجوم على المنشأة السريّة السّوريّة في دير الزور، مطلع أيلول. وإن كان الحال كذلك - وهو أمرٌ غير مستبعد- فمن بإمكانه أن يقول كم من الأشخاص نجوا من الموت بسبب نجاح الإغتيال؟

وكبديلٍ آخر، عندما يتحمّس نصراللّه، ويهدّد «إسرائيل» بثأرٍ مؤلم وفظيع بسبب ما ينسبه لها، لا داعي للإكتفاء بتوجيه التّحذيرات للإسرائيليين المسافرين إلى خارج البلاد. في الحرب الدّعائية الشرق أوسطيّة، من الممكن أيضاً تحذيره صراحةً من أنّ الثأر سيكلفه باهظاً.